القسم الضائع

من

كتاب « الوزراء والكتاب » للجهشياري [1]

« أيام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمعتز والمعتمد والمعتضد »

مقدمة وفوائد تاريخية

لو استقصينا ما سلم من الكتب القديمة في الوزراء ، لحصلنا على عدد يسير نجا من الضياع والتلف . وكان كتاب « الوزراء والكتاب » لأبي عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري (المتوفى سنة ٣٣١ للهجرة) في مقدمة هذه المجموعة الصغيرة ، لبعد عهده منا ونفاسة أخباره . والجهشياري أحد قدماء الكتبة ؛ فهو يعد من طبقة الطبري والصولي والمسعودي وغيرهم ، لذا فما دوّنه في مصنفه « الوزراء والكتاب » يعتبر من الأخبار الجليلة القدر العظيمة الفائدة التي يندر وجودها في كتاب آخر .

قال هلال بن المحسن الصابئ [2] (المتوفى سنة ٤٤٨ هـ) ان أبا عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري جمع من أخبار الوزراء ما وقف فيه عند ابي احمد العباس ابن الحسن المتوفى في سنة ٢٩٦ هـ .

فعليه ، يكون الجهشياري قد تناول في كتابه هذا أخبار وزراء لدولة بني العباس [3] أولهم ابو سلمة حفص بن سليمان الخلاّل وزير السفاح ، وهو أول من وقع عليه اسم الوزارة في دولة بني العباس ، وكانت وفاته في سنة ١٣٢ هـ . وآخرهم العباس بن الحسن المتوفى مقتولاً في سنة ٢٩٦ هـ عند خلع المقتدر بالله ومبايعة ابن المعتز بالخلافة .

وبين أبي سلمة وابن الحسن مدّة تقارب المائتي سنة ، ليست يسيرة من عمر

---

(١) فصلٌ مقتطف من كتاب وضعناه في « تواريخ الوزراء » ، تناولنا فيه أخبار الكتب القديمة المصنفة في أخبار الوزراء خاصة ، وصفاتهم ونكباتهم ومحاسنهم ومساوئهم ومثالبهم وغير ذلك . وقد وقفنا على أكثر من ثمانين كتاباً في هذا الباب ، بينها المطبوع والمخطوط والمفقود . (٢) تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء (ص ٢ طبعة آمدروز في بيروت) . (٣) وقبل كلامه على وزراء بني العباس ، تناول الكلام على أوائل الكتابة ، وأيام ملوك الفرس ، والدواوين ، والكتاب في أيام الخلفاء الراشدين ، وفي أيام خلفاء بني أمية .

دولة بني العباس ، عرض فيها الجهشياري أخبار ثمانية عشر خليفة[1] ومن وزر لهم من وزراء ورتب لهم من كتاب .

وإذا رجعنا الى المطبوع من كتاب « الوزراء والكتاب » رأيناه يقف فجأة في وزارة الفضل بن سهل ، في أوائل اخبار المأمون الخليفة العباسي السابع . فيكون جملة ما تناثر من الكتاب أخبار احد عشر خليفة ، من المعتصم حتى المقتدر ، الذي قُتل في سنة عشرين وثلثمائة للهجرة ، هذا بالإضافة الى ما سقط من أخبار أيام المأمون .

ويفصح لنا التأريخ ان مناحي الوزارة في الإسلام توسعت في هذه الفترة ، اي من ايام المأمون وما بعدها ، وأضحى لكلّ خليفة غير وزير — وكاتب — حتى انّ المقتدر بالله وحده استوزر خمسة عشر وزيراً .

فهذه الأمور تدعونا الى ان نخمن ان مقدار ما فُقد من كتاب « الوزراء والكتاب » يربى على ثلثي الأصل الكامل .

وإذا تتبعنا أخبار الجهشياري المنثورة ، علمنا انه أدرك طائفة حسنة من الخلفاء والوزراء والكتاب ، وقعت أخبارهم برأى ومسمع منه ؛ فلا شك انه افاض الكلام في أخبارهم وصفاتهم ومناقبهم واحداث أيامهم ، وهو نفسه الذي أسهب في اخبار المقتدر بالله حينما دوّنها في ألوف من الأوراق[2] .

ولو أحصينا أولئك الوزرأء الذين وزروا في هذه المدّة (سنة ١٣٢ — ٢٩٦ هـ) لجاوزوا الثلاثين وزيراً ، واذا ضمّ اليهم الكتاب ، لبلغ الكل جملةً كبيرة . جميع هؤلاء تناولهم الجهشياري في كتابه « الوزراء والكتاب » .

واذا تصفحنا مثلاً ما ذكره من أخبار أسرة البرامكة ، وأخبار الوزير الفضل ابن سهل ، وقفنا على منتهى التوسع والإسهاب ، فكيف الحال اذاً عند ما كتب

---

(١) هم على الترتيب: السفاح ، المنصور ، المهدي ، الهادي ، الرشيد ، الأمين ، المأمون ، المعتصم ، الواثق ، المتوكل ، المنتصر ، المستعين ، المعتز ، المهتدي ، المعتمد ، المعتضد ، المكتفي ، المقتدر .

(٢) قال المسعودي (مروج الذهب ٨ : ٢٤٩ ؛ طبع باريس) ما هذا نصه : « .... وقد صنف أبو عبد الله بن عبدوس الجهشياري أخبار المقتدر في ألوف من الأوراق ، ووقع لي منها أجزاء يسيرة . وأخبرني غير واحدٍ من أهل الدراية أن ابن عبدوس صنف أخبار المقتدر في ألف ورقة ... »

أخبار معاصريه من الوزراء ؟ — انه لا ريب أفاض في اخبارهم ، وأجاد في صفاتهم ، وأشار الي محاسنهم ، وغضّ الطرف عن بعض مساوئهم . كلّ هذه الأمور كانت محرّرة في القسم الضائع من هذا الأثر النفيس[1] .

هل ختم الجهشياري كتابه بوزارة الفضل بن سهل ؟

الأستاذ عبد الله اسماعيل الصاوي أحد الذين عنوا بنشر كتاب « الوزراء والكتاب » للجهشياري . ذكر رأياً زعم فيه احتمال وقوف الجهشياري بمصنفه في الحد الذي وجد فيه ، أي بنهاية وزارة الفضل بن سهل في أيام المأمون[2] . قال ما هذا نصه : « على انه يحسن ان ننظر في الأمر من ناحية أخرى ، وأن لا نتابع الشك في وقوف المؤلف عند هذه الغاية — فلعل المؤلف اقتصر على من مات من الوزراء ، تاركاً الأحياء والمعاصرين جرياً على سنة أكثر المؤرخين او مخافة ان يصيبه ضرر عاجل إن أرّخ للأحياء ، فقد عُرِف عن الوزراء انهم كانوا قديماً يكرهون ان الملوك يقفون على شيء من السير والتواريخ خوفاً ان يتفطن الملوك الى أشياء لا يحب الوزراء ان يتفطن لها الملوك »[3] .

« جاء في الفخري : طلب المكتفي من وزيره كتباً يلهو بها ويقطع بمطالعتها زمانه ، فتقدم الوزير الى النواب بتحصيل ذلك وعرضه عليه قبل حمله الى الخليفة ، فحصلو شيئاً من كتب التاريخ وفيها شيء مما جرى في الأيام السالفة من وقائع الملوك وأخبار الوزراء ومعرفة التحيل في استخراج الأموال ، فلما رآه الوزير قال لنوابه : والله انكم اشد الناس عداوة لي ، انا قلت لكم حصلوا له كتباً يلهو بها ويشتغل بها عني وعن غيري ، فقد حصلتم له ما يعرّفه مصارع الوزراء ، ويوجده

---

(١) بهذه المناسبة طالع المقدمة النفيسة التي وضعها ناشروا كتاب [الوزراء والكتاب] وهم الأساتذة: السقا والأبياري وشلبي . (٢) الصفحة الأخيرة من مخطوطة الجهشياري التي اعتمد عليها في طبع الكتاب ، أصابها التلف ، فتعسرت قراءة كثير من كلماتها . وقد كتبت في آخرها هذه العبارة [وهذا آخر ما أردناه والله أعلم بذلك . قدتم بعون الله سنة ٥٢٦] . — ولكن يبدو لكل ذي عينين أن هذه العبارة دخيلة على النسخة ، فخطها يخالف كل المخالفة خطّ النسخة ، بل أنها تمثل لنا خطاً حديثاً جداً بالنسبة إلى الأصل . (٣) مقدمة الناشر (صفحة ك — ل) .

الطريق الى استخراج المال ، ويعرّفه خراب البلاد من عمارتها . ردوها وحصلوا له كتباً فيها حكايات تلهيه وأشعار تطربه »[١] .

قلنا: ان ما ذكره ابن الطقطقي في الفخري صحيح ، وقد جرى على هذه السنة التي نوّه بها غير واحد من الكتبة والمؤرخين ولكنها تستبعد عن الجهشياري لأمور أهمها ما يلي:

١ — النصوص الصريحة التي وقفنا عليها في غير كتاب قديم ، كالفرج بعد الشدة للتنوخي ، وبدائع البدائه ، ومعجم البلدان ومعجم الأدباء وكلاهما لياقوت ، ووفيات الأعيان ، وغيرها[٢] . وهذه النصوص منقولة عن نسخ كاملة من « الوزراء والكتاب » ، وقد أثبتناها في بحثنا هذا . ففيها من أخبار المأمون ومن أعقبه من الخلفاء حتى المعتضد . أفليست هذه النصوص خير شاهد تشهد ان الجهشياري كان اكمل كتابه ولم يقف فجأة في نهاية اخبار الفضل بن سهل أول وزراء المأمون .

٢ — وقد نقلنا في صدر كلامنا شهادة هلال الصابئ القاطعة من ان الجهشياري جمع من اخبار الوزراء ما وقف فيه عند ابي احمد العباس بن الحسن المتوفى في سنة ٢٩٦ هـ . والصابئ لم يقل هذا القول إلا بعد وقوفه على الكتاب .

* * *

كنا عثرنا أثناء مطالعاتنا على جملة حسنة من الأخبار المستقاة من كتاب « الوزراء والكتاب » للجهشياري . وعند رجوعنا الى القسم المطبوع من هذا الكتاب ، وجدنا البعض من هذه الأخبار مثبتة ، والبعض الآخر لا أثر لها فيه ، فتركنا الأولى جانباً ، وعنينا بالثانية ، فرتبناها بحسب سياق تواريخها ، اي اننا جرينا مجرى الجهشياري نفسه في توزيع الأخبار على ايام الخلفاء ووزرائهم ، ولا غرو ان هذه الاخبار الطريفة لو ضمت الى القسم المنشور من الكتاب سدّت ثلمة غير قليلة من تشعثه . وكأننا في هذه الحالة قد اكتشفنا قسماً ضائعاً متناثراً من هذا السفر النفيس .

* * *

(١) مقدمة الناشر (صفحة ل ؛ نقلاً عن الفخري في الآداب السلطانية ص ٥ — ٦ ، طبعة أهلورد)

(٢) لا شك ان هناك نصوصاً أخرى نقلها بعض الكتبة والمؤرخين القدماء عن كتاب (الوزراء والكتاب) لم نقف عليها ؛ مثل كتاب (روضة البلاغة) لأبي الحسن عبد الملك بن محمد ، وهو مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية ، رقمه ١٤٨ أدب . — ونحن نأمل أن يعنى غيرنا بما يقف عليه من نصوص أخرى غير التي نقلناها ، لتتضاعف الفائدة ، ويقترب الكتاب من الكمال .

أيام المأمون

«ذكر ابو عبد الله بن عبدوس في كتاب الوزراء ان اسحاق بن سعيد، قال: حدثني ابو عبد الله محمد بن عيسى المروروذي صاحب يحيى بن خاقان عنه قال: كان المأمون ألزمني خمسة آلاف الف درهم، فأعلمته اني لا املك الا سبعمائة الف درهم، وحلفت على ذلك ايماناً مغلظة اجتهدتُ فيها فلم يقبل مني وحبسني عند احمد بن هشام، وكان بيني وبينه شرّ قد شهر وعرف، وكان يتقلد الحرس. فقال احمد للموكلين بي: احفظوا واحذروا ان يسمّ نفسه، ففطن المأمون لمراده، فقال له: يا احمد لا يأكل يحيى بن خاقان الا ما يؤتى به من منزله، قال: فأقمتُ على ذلك ووجه الى فرج الرُّخجيّ بألف الف درهم، ووجه الى الحسن بن سهل بألف الف درهم، فأضفتُ ذلك الى ما كان عندي، حتى جمعت خمسة آلاف الف درهم، فلما اجتمعت، كتبتُ الى المأمون بحضور المال الذي الزَمنيه، فأمر بإحضاري، فدخلتُ عليه وبين يديه احمد بن خالد وعمرو بن مسعدة وعليّ بن هشام. فلما رآني قال لي: او لم تخبرني وتحلف لي انك لا تملك الا سبعمائة الف درهم. فمن اين لك هذا المال؟ فصدقته عن أمره وقصصتُ عليه قصته، فأطرق طويلاً ثم قال: قد وهبتهُ لك. فقال الحضور: أتهب له خمسة آلاف الف درهم وليس في بيت المال درهم وانت محتاج الى ما دون ذلك بكثير، فلو اخذته منه قرضاً واذا جاءك مال رددته اليه. فقال لهم: أنا على المال اقدر من يحيى، وقد وهبته له. فرددتُ على القوم ما كانوا حملوه اليّ وتخلصتُ»[1].

* * *

وقال محمد بن عبدوس في كتابه كتاب الوزراء ان محمد بن يزداد سعى الى المأمون بعمرو بن بهنوني، فقال المأمون: يا فضل: خذ عمراً اليك وقيده وضيق عليه ليصدق عما صار اليه من مالي، فقد احتاز مالاً جليلاً، وطالبه به. فقلتُ نعم. وأمرت باحضار عمرو، فأحضر فأخليتُ له حجرة في داري واقمتُ له ما يصلحه، وتشاغلتُ عنه بأمور السلطان في يومي وغده، فلما كان اليوم الثالث أرسل اليّ عمرو

(١) الفرج بعد الشدة للقاضي المحسن التنوخي، المتوفى سنة ٣٨٤ للهجرة (١ : ١١٨، مطبعة الهلال بالقاهرة سنة ١٩٠٣).

يسألني الدخول اليه ، فدخلتُ وأخرج اليّ رقعة وقد أثبت فيها كلّ ما يملكه من الدّور والضياع والعقار والاموال والكسوة والفرش والجوهر والكراع والقماش وما يجوز بيعه من الرقيق ، فكان قيمة ذلك عشرين الف الف درهم ، وسألني ان أُوصل رقعته الى المأمون وأُعلمه ان عَمراً قد جعله من دون ذلك في حلّ وسعة ، فقلتُ له : مهلاً فان أمير المؤمنين أكبر قدراً من ان يسلبك نعمتك عن آخرها ، فقال عَمرو انه كما وصفتَ في كرمه ، ولكن الساعي لا ينام عني ولا عنكَ ، وقد بلغني ما أُمِرْتَ به في أمري من الغلظة ، وقد عاملتني بضدّ ذلك ، وقد طبت نفساً بأن أشتري عدل أمير المؤمنين لك في امري ورضاه عني بجميع مالي ، فلم ازل انزله حتى وافقته على عشرة آلاف الف درهم ، فقلتُ هذا شطر مالك وهو صالح للفريقين وأخذت خطه بالتزام ذلك صلحاً عن جميع ما جرى على يديه ، وصرتُ الى المأمون فوجدتُ محمد ابن يزداد قد سبقني اليهِ ، وإذا هو يكلمه ، فلما رآني قطع الكلام وخرج . فقال المأمون : يا فضل . قلتُ لبيك يا أمير المؤمنين ، قال : ما هذه الجرأة منك وعلينا ، فقلتُ يا أمير المؤمنين انا عبد طاعتك وغرسك . فقال : امرتك بالتضييق على النبطيّ عَمرو بن بهنوني ، فقابلتَ امري بالضد ووسعتَ عليه واقمتَ له الانزال . فقلتُ يا أمير المؤمنين انّ عمراً يطالب بأموال كثيرة عظيمة فلم آمن ان اجعل محبسه في بعض الدواوين فيبذل مالاً يرغب في مثله فيتخلص ، فجعلتُ محبسه في داري ، واشرفت على طعامه وشرابه لأحرس نفسه ، فان كثيراً من الناس اختانوا السلطان وتمتعوا بالأموال ثم طولبوا بها فاحتيل عليهم ليبطنوا ويفوز بالاموال غيرهم . — قال الفضل : وإنما أردت بذلك تسكين غضب المأمون عليّ ولم اعرض الرقعة عليه ولا اعلمته بما جرى بيني وبين عمرو لاني لا آمن سورته من ذلك الوقت لاشتداد غضبه ، فقال لي سَلم عَمراً الى محمد بن يزداد ففعلتُ ، فلم يزل يعذّبه بأنواع العذاب حتى يبذل له شيئاً فلم يفعل . فلما رأى اصحابه وعماله ما قد ناله جمعوا له من بينهم ثلاثة آلاف الف درهم وسألوا عَمراً ان يبذلها لمحمد بن يزداد ، فبذلها فصار محمد الى المأمون متجهاً بها واوصل الخط بها الى المأمون وانا واقف . فقال المأمون : يا فضل الم نعلمك انّ غيرك اقوم بأمورنا منك واطوع لما نأمر . فقلتُ يا أمير المؤمنين : ارجوا ان اكون في حال استبطاء امير

المؤمنين ابلغ في طاعته من غيري . فقال المأمون : هذه رقعة عمرو بن بهنوني بثلاثة آلاف الف درهم ، فقلتُ : وما اجترأتُ عليه قط اجترائي عليه ذلك اليوم ، فاني اخرجتُ اضبارة كانت مع غلامي ، فأخذت الرقعة منها مسرعاً وقلت : والله لأُعلمن أمير المؤمنين اني مع رفقي ابلغ في حياطة امواله من غيري مع غلظته ، واريته رقعة عمرو التي كتبها لي وحدثته بحديثي عن آخره ، فلما تبين المأمون الخطين وعلم انهما من خطّ عمرو ، قال ما ادري ايكما اعجب عمرو حيث تنكر برّك وطاب نفساً بالخروج من ملكه بهذا السبب ، ام انت ومحافظتك على اهل النعم وسترتك عليه ذلك في ذلك الوقت ، والله لا كنتما يا نبطيان بأكرم مني ، ودفع الرقعة التي اخذها محمد بن يزداد من عمرو اليّ وامرني بتمزيقها وتمزيق الأُولى ، وامر من يسلم عمراً من محبسه إليّ ، وامرني بإطلاقه ؛ فخرجتُ من بين يديه وفعلت ذلك »(١) .

* * *

« وذكر محمد بن عبدوس في كتاب الوزراء في اخبار دينار بن عبد الله انّ رسوله لقي ابا حسان [الزيادي] في طريقه ، فقال له : قسمت شيئاً على عيالي فذكرت عيالك ، فأنفذتُ اليك عشرة آلاف درهم ، فأخذها ورجع من الطريق وباكره الخراساني (٢) فأعطاه إياها كلها لأنه كان انفق جميع مال الخراساني ثم عاد من غد الى دينار فعرفه وشكره وعرفه الحديث ، فقال : فكأنما قضينا دَين الخراساني ثم امر له بعشرة آلاف درهم أُخرى »(٣) .

* * *

« وذكر محمد بن عبدوس في كتاب الوزراء ، حدّث احمد بن محمد بن زياد ، قال الريان بن الصلت : كنتُ في خدمة الفضل بن سهل على ما كنت عليه من ثقته بي

(١) الفرج بعد الشدة (١ : ١١٩ — ١٢٠)

(٢) أودع الخراساني أبا حسان الزيادي عشرة آلاف درهم حين عزم على الخروج للحج ، فتصرف الزيادي بهذه الوديعة . وقد أورد التنوخي هذه القصة في الفرج بعد الشدة (١ : ١٥٢ — ١٥٥)

(٣) الفرج بعد الشدة (١ : ١٥٥) . وقصها أيضاً في كتابه [نشوار المحاضرة] : (١ : ٢٢٠ — ٢٢٣) دون الإشارة الى الجهشياري . ونقل ياقوت الحموي هذه الرواية أيضاً عن الوزراء والكتاب للجهشياري . راجع معجم الأدباء (٣ — ١٤٦ طبعة مرجليوث) .

واستنابته ، فدعاني في وقت من الأوقات الى ان يضمّ اليّ اربعة آلاف من الجند والشاكرية ويقوّدني عليهم ، ويجريني مجرى قواده ، فامتنعتُ عليه من ذلك واعلمته اني لا اقوم بذلك ولا اصلح له ولا آمن ان اتقلد له ما يقع التقصير فيه فيسقط ذلك حالي عنده ومنزلتي لديه . فأنكر ذلك عليّ اشد الإنكار وعاودني فيه مراراً فلم أُجبه اليه . فلما رأى اقامتي على الامتناع جفاني واعرض عني ، وامتدت الأيام على هذا السبيل حتى ادّى بي ذلك الى الاختلال الشديد الذي أضرّ بي . فدخل عليّ غلامي يوماً فأخبرني انه لا نفقة عنده ولا مقدرة له في احتيالها لامتناع التجار من اعطائه لتأخر مالهم عنهم ولا علف لدوابنا ولا قوت لنا ، فأومأتُ الى عمامة كانت عندي فأمرت ببيعها وصرف ثمنها فيما يحتاج اليه فباعها بثمانية عشر درهماً وورد عليّ في هذا اليوم كتاب وكيلي على اهلي بمدينة السلام يعلمني ضيق الأمر فيما يحتاج اليه من إقامته للعيال وانه التمس من التجار الفي درهم فلم يجيبوا اليها ، فعظم عليّ ما ورد من ذلك وضاقت بي المذاهب فيه ، فبينما انا قاعد عشية يومي ذلك اذ أتاني رسول الفضل يأمرني بحضور الدار والمقام فيها الى وقت خروجه من عند المأمون ، فحضرتها بعد صلاة العتمة واقمتُ الى ان خرج الفضل في وقت السحر ، فلقيته وبين يديه خرائط محمولة فقال لي : صليت صلاة الليل ؟ فقلت نعم . فقال : لكني ما صليتُ ؛ فكن هنا حتى أُصلي . فصلى ثم انفتل من صلاته فدعاني وقال : أتدري ما هذه الخرائط ؟ قلتُ لا . قال : هذه ثمان وستون خريطة وردت فقرأتها واجبت عنها جميعها بخطي ، فدعوتُ له بحسن المعونة والتوفيق ، ثم قال لي : يا ريان ان ابا محمد الحسن بن سهل قد دفع اليّ واسط ، ورأى أمير المؤمنين ان يمده بدينار بن عبد الله ونُعيم بن حازم في عشرة آلاف رجل وان تُقلد الانفاق على عسكريهما وان يجري لك في كل شهر عشرة آلاف درهم ولكاتبك ثلاثة آلاف درهم ، ولقراطيسك الف درهم ، وان يوظف لك على كل عسكر عشرة أحمال تحملك او خمسمائة درهم عوضاً عنها ، ثم امر في ذلك الوقت ان يحمل لي أرزاق ثلاثة اشهر ؛ فما صليت صلاة الصبح حتى حمل لي اثنان وأربعون الف درهم وأخذ في جهاز العسكرين . قال : وبعث اليّ الفضل بن سهل بفرس من دوابه وامرني ان ابعث به الى نُعيم بن حازم واظهر انه خصه به وانه من خيله الذي

يركبها ، فوجهتُ به الى نُعيم بن حازم واظهر السرور والابتهاج بذلك والتعظيم له ، فوهب لغلامي عشرة آلاف درهم ، وبعث اليّ بخمسين الف درهم ، فكتبتُ بذلك الي الفضل فوقع على رقعتي أرْدُدْ على نُعيم ما امر لك به ووهبه لغلامك واقبض لنفسك عوضاً منه مائة وعشرين الف درهم ، ثم امر بعد أيام لدينار بسبعمائة الف درهم صلة ومعونة ، ولنعيم بخمسمائة الف درهم ، فبعث بها اليهما ، فبعث لكل واحد منهما بخمسين الف درهم ، فكتبت الى الفضل رقعة أُخبره بما فعلاه فوقع على ظهرهـا : اقبل من دينار ما بعث به واردوا الى النعيم ما بعث به واقبض لنفسك عوضاً عن ذلك مائة الف درهم . قال . ونقلنا عن مرو ، فلما صرنا في الطريق ورَد عليّ كتاب الفضل يأمرني فيه ان احمل الى دينار الف الف درهم وخمسمائة الف درهم ، والى نُعيم الف الف درهم . فبعث الى دينار الف درهم وخمسين الف درهم ، وبعث الى نُعيم مائة الف درهم ، فقبلت من دينار ما بعث به اليّ ، ورددت على نُعيم حسب ما كان حدّ لي في رقعته الأُولى والثانية ، ولم اكتب بالخبر في ذلك الي الفضل لئلاّ أتوهم بذلك استدعاء العوض ، فكتب بذلك صاحب مربّ كان علينا فوقع على ظهر كتابه : قد علمت انك انما امسكت عن الكتاب بما فعله دينار ونُعيم لئلا يتوهم عليك الاستدعاء للصلاة ، وقد رأيت ان تقبض لنفسك عوضاً من ذلك مائتي الف درهم . قال الريان : فلم تمض سبعة وعشرون يوماً حتى حصلت عندي سبعمائة الف درهم »[1] .

* * *

وذكر محمد بن عبدوس في كتابه عن جبريل بن بختيشوع الطبيب في خبر طويل ، انه سمع المأمون يقول : كان لي خراساني يوماً عجيباً [كذا] وأولاني الله فيه بلسانه الجميل ، وذلك لما توجه طاهر بن الحسين لحرب عليّ بن عيسى بن ماهان [مقدم جيش الأمين] قد عرفتموه من ضعف طاهر وقوة عليّ وقع في نفوس عسكري جميعاً انّ طاهراً ذاهب ولحق أصحابي إضاقة شديدة ، وظهرت فيهم خلة ونفد ما كان معي ولم يبق منه قليل ولا كثير ، وافضيت الى حال كان اصلح ما فيها الهرب ؛ فلم أدرِ إلى اين اهرب ولا كيف آخذ ، فبقيت حائراً متفكراً . وانا والله كذلك نازلاً في دار

(١) الفرج بعد الشدة [٢ : ٥ — ٧]

ابوابها حديد ولي متشرفات أجلس فيها اذا شئتُ ، عدّة غلماني ستة عشر غلاماً لا أملك غيرهم ، إذا بالقواد والجيش جميعاً قد شغبوا عليّ وطلبوا أرزاقهم ولغوا جميعاً يشتمون ، وتكلموا بكل قبيح ، وكان الفضل بن سهل بين يديّ فأمر بإغلاق الأبواب وقال لي : قم فاصعد الى المجلس الذي يتشرف فيه اشفاقاً عليّ من دخولهم وسرعة أخذهم إياي وتعليلاً لي بالصعود . فقلتُ له : ويحك ما يغني الصعود والقوم يدخلون الساعة ليأخذوني ، فلئن اكون بموضعي اصلح . فقال : اصعد فو الله ما تنزل الا خليفة ، فجعلت أهزأ به وأعجب منه واحسب انه ما قال الآن ليستجسني واردتُ الهرب من أبواب الدار فلم يكن الى ذلك سبيل لإحاطة القوم بالدار والأبواب كلها ، فألحّ عليّ الى ان صعدتُ وانا وجل ، فجلست في المشرفات وانا أرى العسكر ، فلما علموا بصعودي اشتد طلبهم وشتمهم وضجيجهم ونادوني بالوعيد والشتم ، فأغلظت على الفضل ابن سهل وقلت له : انك انت جاهل وقد غررتني فلم تدعني أعمل برأيي ، وليس العجب الا ممن قبل منك ، وهو في هذا يحلف اني لا أنزل إلا خليفة وغيظي عليه يزداد وتعجبي منه ومن حمقه ومواصلته الأيمان معما يشاهده من الحال . وكان ما أقاسيه منه أشد مما أقاسيه من الجند . ثم وضع القوم النار في شوك وضعوه وأدنوه من الدار ونقبوا في سورها عدة نقوب ، وثلموا فيه جزءاً ، فذهبت نفسي جزعاً وعلمت بأني بين ان احترق وبين ان يصلوا اليّ فيقتلوني . فهممت بأن ألقي نفسي اليهم وقدرت انهم اذا رأوني استحيوا وانصرفوا . وجعل الفضل بن سهل يقبل يدي ورجلي ويناشدني ان لا أفعل . وحلف اني لا أنزل الا خليفة وفي يده الاصطرلاب ينظر فيه في الوقت بعد الوقت ، فلما علا الأمر واستحكم اليأس ، قال لي : يا سيدي والله أتاك الفرج ؛ أرى شيئاً في الصحراء قد أقبل ومعه فرجنا ، فازددتُ من قوله غيظاً وأمرتُ غلماني بتأمل الصحراء فلم يروا شيئاً . وجدّ القوم في الهدم والحريق حتى هممت لما دخلني ان أرمي الفضل اليهم . فقال الغلمان : يا سيدي انا نرى شيئاً في الصحراء قد اقبل يلوح ؛ فنظرت فاذا شبح ، وجعل يزيد تبياناً الى ان تبينوا رجلاً على بغل يلوح ، ثم قرب من العسكر فقويت له قلوبنا ورأى الجند ذلك فتوقفوا وخالطهم ؛ فاذا هو يقول البشرى هذا رأس علي بن عيسى [بن ماهان] معي في المخلاة ، فلما رأوا ذلك

امسكوا عنا وانقلبوا بالدعاء لي والسرور بالظفر والفتح ، فقال لي الفضل : ياسيدي إيذن لي في إدخال بعضهم ؛ فأذنت فشرط عليهم ان لا يدخل الا من يريد ، فأجابوا الى ذلك ، وسمى قوماً من القواد يعدهم واحداً واحداً ففعلوا ذلك . واطفأ الله عز وجل تلك الثائرة ووهب لي السلامة وقلدني الخلافة وظفرتُ من اموال علي بن عيسى [بن ماهان] وما في عسكره بما اصلحنا به جنودنا »[١]

* * *

وذكر ايضاً في كتابه ، قال : حدثنا محمد بن مخلد عن ابيه مخلد بن ازدي المدائني الكاتب ، قال : كان مخلد يلقب لبد لطول عمره . فحدثني ان المأمون لما قدم العراق خطر له ان يقلد الأعمال الى السبعة الذين قدموا معه من خراسان ، فطالت عطلة كتاب السواد وعماله ، وكانوا يحضرون داره في كل يوم حتى ساءت احوال اكثرهم . فخرج يوماً بعض مشايخ الشيعة وكان مغفلاً ؛ فتأمل مخلداً فلم ير اسنّ منه ، فجلس اليه . فقال له انّ امير المؤمنين قد امرني ان اتخير ناحية من نواحي الخراج صالحة المرافق ليوقع بتقليدي اياها ؛ فاختر لي ناحيه من نواحي الخراج . فقال لا اعرف لك عملاً اولى بك من بزيدات البحر وصدقات الوحش . فقال له : اكتبه لي ؛ فكتبه له ، فعرض الشيعي الرقعة على المأمون وسأله تقليده العمل ، فقال له : من كتب هذه الرقعة ؟ فقال شيخ من الكتاب يحضر الدار في كل يوم . فقال هلمه . فلما حضر قال له ما هذا يا جاهل تفرغت لأصحابي . فقــال يا امير المؤمنين : اصحابنا هؤلاء ثقات يصلحون لحفظ ما يقع في ايديهم من الخزائن والأموال . واما شروط الخراج وحكمه ، وما يجب تعجيل استخراجه ، وما يجب تأخيره ، ومـا يجب إطلاقه ، وما يجب منعه ، وما يجب انفاقه ، وما يجب احتباسه ، فلا يعرفونه ، وتقليدهم اياه يعود بذهاب الارتفاع . فإن كنت يا امير المؤمنين لا تثق بنا فمر الى ان يضم الى كل رجل منهم رجل منا ، فيكون الشيعي يحفظ المال ونحن نجمعه . فاستصاب المأمون كلامه وامر بتقليد عمال السواد وكتابه وان يضم الى كل واحد منهم رجلاً من الشيعة ، وضمّ مخلد الى ذلك الشيخ فقلده ناحية جليلة »[٢] .

* * *

(١) الفرج بعد الشدة [٢:٧ — ٨] (٢) الفرج بعد الشدة [٢:٨]

« وذكر ابو عبدالله محمد بن عبدوس الجهشياري في كتاب الوزراء ، قال: ذكر ابو الفضل ابن عبد الحميد في كتابه انّ الاحول المحرّر شخص مع محمد بن يزداد عند شخوص المأمون الى دمشق ، وانه شكا يوماً الى ابي هرون خليفة محمد بن يزداد الوحدة والغربة وقلة ذات اليد ، فسأله في ان يسأل ابن يزداد ان يكلم المأمون في أمره فيبرّه بشيء ، ففعل ابو هرون ذلك ورأى محمد بن يزداد من المأمون طيب نفس ، فكلمه له وعطفه عليه . فقال له المأمون : انا أعرف الناس به انه لا يزال بخير ما لم يكن معه شيء ، فاذا رُزق فوق القوت بِذَرَّةٍ افسده ذلك ، ولكن قد أمرنا له لشفاعتك بأربعة آلاف درهم . فدعا ابن يزداد بالأحول فعرفه بما جرى ونهاه عن الفساد وأمر له بالمال ، فلما قبضه ابتاع غلاماً بمائة دينار ، واشترى سيفاً ومتاعاً ، وأسرف فيما معه حتى لم يبق معه شيء . فلما رأى الغلام ذلك اخذ كل ما كان في بيته وهرب ، فبقي عرياناً بأسوء حال . فجاء الى ابي هرون خليفة محمد بن يزداد فأخبره ، فأخذ ابو هرون نصف طومار فكتب في آخره :

فرّ الغلام فطار قلب الأحول وانا الشفيع وأنت خير مؤمل

ثم ختمه وقال له : امض الى محمد بن يزداد ، فمضى وأوصله اليه ، فلما رآه محمد قال له : ما في كتابك ؟ قال لا أدري قال : وهذا من حمقك تحمل كتاباً لاتدري ما فيه . ثم فضه فلم ير شيئاً فجعل ينشره وهو يضحك حتى انتهى الى آخره فوقف على البيت وكتب تحته :

لو لا تعبث أحول بغلامه كان الغلام ربيطة في المنزل

ثم ختمه وناوله اياه وأمره ان يرده الى خليفته . فقال : الله الله فيّ ، جعلني الله فداك ، ارحمني من الحالة التي قد صرتُ اليها . فرقّ له ووعده ان يكلم المأمون ، فكلمه وشرح له الحال ووصف له ضعف عقل الأحول ووهي عقدته ؛ فأمر المأمون بإحضاره فلما مثل بين يديه قال له : ياعدو الله : تأخذ مالي وتشتري به غلاماً حتى يفرّ منك . فارتاع لذلك وتلجلج لسانه . فقال : جعلني الله فداك ما فعلت . فقال ضع يدك على رأسي واحلف انك لم تفعل . فارتاع وجعل ابن يزداد يأخذه بيده لذلك والمأمون يضحك ويشير اليه ان ينحيها ، ثم أمر بإجراء رزق واسع له كل

شهر ، ووصله مرة بعد مرة حتى اغناه الله لانه كان يعجبه خطه» (١)

* * *

«وذكر الجهشياري في كتاب الوزراء والكتاب ، حدّث محمد بن الفضل الهاشمي ، قال : حدّث احمد بن سلمة الكاتب انه قال لعياش بن القاسم : اجتمعت مع عمرو بن مسعدة واحمد بن يوسف في مجلس فيه قينة فغنت :

أناس مضوا كانوا اذا ذكر الأُلى مضوا قبلهم صلوا عليهم وسلموا

فقال عمرو : هو والله حسن الا انه مفرد فأضيفوا اليه بيتاً آخر فانه أحسن له وأطول للقافية وأطوع للغناء فيه فقال احمد بديها :

وما نحن الا مثلهم غير اننا أقمنــا قليلاً بعدهم وتقدموا

فغنت بهما المغنية فطربوا وشربوا عليهما بقية يومهم» (٢) .

* * *

« وحدث ابو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري في كتاب الوزراء والكتاب من تصنيفه ، قال : كان بعض أصحاب ابن أبي خالد الأحول قد وصف له علاناً الشعوبي الورّاق ، فأمر باحضاره وبأن يستكتب له فأقام في داره ، فدخلها احمد بن أبي خالد يوماً فقام اليه جميع من فيها غير علان الورّاق ، فانه لم يقم له ، فقال احمد : ما أسوأ أدب هذا الوراق ؛ وسمعه علان . فقــال : كيف أنسب انا الى سوء الأدب ومني يتعلم الآداب وانا معدنها ، ولماذا أردت مني القيام لك ولم آتك مستميحاً لك ولا راغباً اليك ولا طالباً منك ، وانما رغبتَ اليّ في ان آتيك فاكتب عندك ، فجئتك لحاجتي الى ما آخذه من الأُجرة ، وقد كنت بغير هذا منك أولى . ثم حلف أيماناً مؤكدة الا يكتب بعد يومه حرفاً في منزل أحدٍ من خلق الله تعالى» (٣) .

* * *

« وقال الجهشياري : كان لخالد بن ابان الكاتب الأنباري الشاعر حرمة بعليّ ابن الهيثم [الكاتب المعروف بجونقا] وبأبيه أيام مقامهم بالأنبار ، ثم شخص خالد بن

(١) بدائع البدائه لعليّ بن ظافر الأزديّ ، المتوفى سنة ٦٢٣ للهجرة [ص ٢٧ - ٢٨ ؛ بولاق سنة ١٢٧٨ ه] (٢) بدائع البدائه [ص٨٣] (٣) معجم الأدباء [٥ — ٦٧]

ابان الى مصر وتزوج بها وولد له وأضاق واختلت حاله وتدين من التجار ما أنفقه ، فكثر غرماؤه وقدموه الى القاضي فحبسه ثم فلسه وأطلقه ، وأقام بمصر وساءت حاله ، وبلغه ان علياً قد عظم قدره وتقلد ديوان الخراج للفضل بن الربيع لما استوزره الرشيد بعد البرامكة وارتفع مع المأمون بعد ذلك ، فكتب اليه قصيدة نحواً من سبعين بيتاً في رق بالذهب وبعث بها اليه أولها : (على الخالق الباري) الأبيات ، فوجه اليه بألف دينار »[1] .

* * *

« الجهشياري : أمر المأمون ان يؤذن للناس اذناً عاماً ، وان يجلسوا على مراتبهم كانت قديماً الى ان تعرض عليه ، فيأمر فيها بأمره ففعلوا ذلك ودخل علي بن الهيثم فجلس في مجلس العرب وتغامز الكتاب عليه ، وأقبل عبيد الله بن الحسن العلوي ، فقال ابراهيم بن اسماعيل بن داود الكاتب للكتاب : أطيعوني وقوموا معي ، فمضوا بأجمعهم مستقبلين لعبيد الله بن الحسن فسلموا عليه فرد عليهم ، فقالوا لنا حاجة ، فقال مقضية . قالوا : تجلس في مجلسنا . فقال : سبحان الله ينكر ذلك أمير المؤمنين . قالوا : هي حاجة تقضيها لنا ونحتمل ما ينالك فيها . قال : افعل لعلمي بموقع الكتاب من قلوب السلاطين وقدرتهم على اصلاح قلوبهم اذا فسدت ، وإفسادها اذا صلحت . ومال الى ناحيتهم فجلس معهم و كتب صاحب المراتب الى المأمون ، فلما وقف على الموضع الذي جلس فيه عبيد الله أنكره وبعث اليه : ما هذا المجلس الذي جلست فيه ، فقال ابراهيم بن اسماعيل للرسول : بلغ أمير المؤمنين عنا السلام وقل له خدمك وعبيدك الكتاب يقولون العدل والإنصاف موجودان عندك وعند أهلك ، أخذتم منا رجلاً من وجوه النبط فأخذنا مكانه وجهاً من وجوه أهلك ، ذلك علي بن الهيثم جالس مع العرب ، فردوا علينا رجلنا وخذوا رجلكم . فضحك جميع من في داره وتشور علي بن الهيثم وضحك المأمون وقال : لقد مني علي بن الهيثم من ابراهيم بن اسماعيل ببلاء عظيم »[2] .

* * *

(١) معجم الأدباء [٥:٢٥٤ — ٢٥٥] (٢) معجم الأدباء [٥:٢٥٦ — ٢٥٧]

«وذكر الجهشياري ان مسعدة كان مولى خالد بن عبد الله القسري وانه كان يكتب لخالد ، وكان بليغاً كاتباً ، مات في سنة ٢١٤ ، وقيل في سنة سبع في أيام المأمون . وكان مسعدة من كتاب خالد بن برمك ، ثم كتب بعده لأبي أيوب وزير المنصور على ديوان الرسائل»[١].

* * *

«وحكى الجهشياري ان الفضل بن سهل أصيب بابن له يقال له العباس ، فجزع عليه جزعاً شديداً ، فدخل عليه ابراهيم بن موسى بن جعفر العلوي وأنشده :

خير من العباس أجرك بعده   والله خير منك للعباس

فقال : صدقت ووصله وتعزى له»[٢].

* * *

(يتبع)   ميخائيل عواد

---

(١) معجم الأدباء [٦ : ٨٨] . وراجع أيضاً وفيات الأعيان لابن خلكان [١ : ٥٥٦ ؛ طبعة بولاق الأولى سنة ١٢٧٥ هـ] (٢) وفيات الأعيان [١ : ٥٩٠]